جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات السداسي السادس في مادة علم الدلالة2.

السنة الثالثة لسانيات عامة

الأستاذ: محمد عايش

المحاضرة الأولى: علم الدلالة والمعارف الإنسانية:

إذا كان مصطلح "الدلالة" يستدعي موضوع العلم الذي يبحث فيه وهو المعنى، فإن الدلالة من حيث هي مضمون، لتستدعي بدورها عدداً من العلوم. فرابطة رحم العلوم بها إذن كل علم يأخذ منها– في علاقته مع الآخر ومنفصلاً عنه في الوقت نفسه– بجانب يتجلى فيه اختصاصه[1]. لهذا يمكن التأكيد أنَّ «ثمة علوم– العلوم الانسانية بشكل خاص– تتصل بالدلالة اتصالاً مباشراً، وتبحث فيها، والسبب في ذلك لأنها تشكل أنساقاً مستقلة. وهي بهذا المعنى، تقوم على كيانات كلية، ومبنية، وتفترض وجود علاقات تبعية وتضامن بين العناصر التي تُكوِّنها. ومن هنا، فقد جاء اهتمامها بالمعنى، لأنه يُعدّ عنصراً من العناصر الداخلة في كياناتها الكلية، ويخضع فيها لعلاقات التبعية والتضامن»[2].

وقد استطاع علم الدلالة أن يستقرّ حديثاً فصار علم مستقل له قوانينه وأعلامه وإجراءاته، ولأن علم الدلالة غاية الدراسات العوم جميعاً، بل إنّه قمة الدراسات، فإنه لا يمكن ألاَّ نتصور علاقات علم الدلالة مع فروع علم اللغة المختلفة بل؛ لا يمكن فصل علم الدلالة عن بقية العلوم. فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة– لأداء وظيفته– إلى الاستعانة ببقية العلوم سواء اللغوية وغير اللغوية [3]. « كما أنّ العلوم الأخرى، نحو: المنطق، البلاغة، علم النفس، علم الاجتماع، الترجمة، وغيرها... لا تقوم على غير المعنى، – باختلاف زوايا نظرها إليه، لذلك فهي بحاجة إلى نتائج عِلم الدلالة ومَقُولاته»[4].

ولا يمكن حصر الكلام عن علاقة علم الدلالة بالعلوم غير اللغوية في علوم من دون أخرى لأن علم الدلالة تحتاج إليه كلُّ العلوم سواءٌ العلوم إنسانيه أو غير الإنسانية، وذلك

---

[1]– ينظر: منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب– سوريا، ط1، 1996، ص: 42.

[2]– المرجع نفسه، ص: 42.

[3]– ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، علم الكتب، القاهرة، ط5، 1997، ص: 13.

[4]– خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ص: 77.

في تحديد المفاهيم والمصطلحات وتوصيف الموضوعات وصياغة الأحكام والقوانين وغير ذلك ممّا يَدْخل في حاجة العلوم الى تحديد الماهيات والحكم عليها وإقامه العلاقات بين الأجزاء والعناصر وغير ذلك. ولذلك يقول غريماس: «تسطيع العلوم الإنسانية، من خلال البحث المنصب على المعنى، أن تجد القاسم المشترك بينها»[1].

1- علاقة علم الدلالة بالفلسفة والمنطق:

يمكن القول إنّه لما كان علم الدلالة (sémantique) تتقاسمه عِدّة علوم، كان من حقّ كل علم على حدة أن يدّعي هذا العلم من اختصاصه، وكما يقال ربمّا كان ارتباط علم الدلالة بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من فروع المعرفة.

إنّ الفلاسفة والمناطقة اهتموا اهتماما كبيراً بعلم الدلالة حتى عُدَّ من اختصاصهم في تلك الحقبة ليستقل بعد ذلك شيئا فشيئا ويصبح موضوعاً من مواضيع علم اللغة؛ بل إن الفلاسفة والمناطقة اهتموا اهتماما كبيرا بقضايا الدلالة في تلك الحقبة؛ «فالفلسفة تقوم بشرح ما يتوصل إليه علم الدلالة وربما كان علم الدلالة إجابة عن سؤال الفلسفة»[2]، وهذا لكون الفلسفة أم العلوم تمتد اهتماماتها لتشمل كل النتائج التي تتوصل إليها العلوم الأخرى، وتعكف الفلسفة على شرحها وتحليلها؛ يقول نواري مسعودي: «فقد ظلت دراسة جانب المعنى من اللغة حكرا على علماء الفلسفة وعلماء الإنسانية لعقود طويلة، قبل أن يستقل في العصر الحديث، ويصير شأنا لغويا له أهله ودارسوه»[3].

فكانت الفلسفة السبّاقة إلى دراسة المعنى وتحليله، لذا نستطيع القول أن اهتمامات علم الدلالة كانت من اختصاص الفلاسفة قديما، إذن هنا يذوب الفرق بين الفلسفة وعلم الدلالة كونهما اهتما بموضوع واحد وهو دراسة المعنى.

---

[1]- منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، ص: 39.

[2]- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص: 85.

[3]- نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ص: 54.

وكما هو معروف فإنّ اليونان القديمة تُعدّ مهد الفلسفة والمنطق، واهتماماتهم بعلم الدلالة تُنْبِئ ولا شكَّ بالعلاقة القوية والمتينة التي تربط الفلسفة بعلم الدلالة وأبرز دليل على ذلك تلك التساؤلات والإشكالات التي طرحها فلاسفة ذلك العصر والمتعلقة بالمعنى. «فلقد حاور أفلاطون أستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله، أما أرسطو فكان يقول باصطلاحية العلاقة، وذهب إلى أنْ قسّم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلا على تمييزه بين الصوت والمعنى معتبراً المعنى متطابقاً مع التصور الذي يحمله العقل عنه. وقد تبلورت هذه المباحث اللغوية عند اليونان حتى غدا لكلِّ رأي أنصاره من المفكرين فتأسست بناءً على ذلك مدارس أرست قواعد هامة في مجال دراسة اللغة كمدرسة الرواقيين... »[1].

واهتمام الفلاسفة بقضايا الدلالة والمعنى يتجلى في تلك الإشكالات والتساؤلات التي يطرحها الفلاسفة والمتعلقة بالمعنى، وهي قضية تطرح الأسئلة التالية: « ما هي علاقات الإشارة بالواقع؟ ضمن أي شروط تطبق الإشارة على موضوع أو على حالة من خصائص وظيفتها أن تعني؟ ثم ما هي القواعد التي تضمن اتصالا حقيقيا...الخ. وبالإضافة إلى هذا، فإن المنطق يعالج مسألة الحقيقة في بحثه الدلالي. كما يعالج قضية الصواب والخطأ مُنْطلِقاً من انطباق معنى العبارة على الواقع وابتعادها عنه»[2]. وهنا تتضح علاقة تكاملية بين علم الدلالة والفلسفة والمنطق أساسها المعنى.

وتشير تعريفات علم الدلالة إلى الصلات الوطيدة التي تجمعه بعلم الفلسفة، فقد ورد موسوعة اللسانيّات: «علم الدلالة هو دراسة المعنى اللغويّ وهو المجال الأقرب في اللسانيات إلى فلسفة اللغة. والاختلاف الأساسي بين مقاربة الفلاسفة ومقاربة اللسانيين هو تركيز اللّساني على الطريقة التي يؤدّى بها المعنى في اللغة في حين يكون الفيلسوف مهتما

---

[1]– عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا، ط1، 2001، ص: 15.

[2]– منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، ص: 42.

أكثر بطبيعة المعنى في حدّ ذاته. ومهتّما تحديداً بالصلات الموجودة بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي»[1].

ومن أمثلة هذا التقارب أعمال الفيلسوف والمنطقي والرياضيّ غوتلوب فريجه ("Gottlob Frege " 1848– 1925م) الذي ميّز بين المعنى والمرجع في نظام اللغة. فقد يكون المرجع مثلا واحدا في الواقع وتكون له في نفس الوقت معاني مختلفة في نظام اللغة. كما يظهر ذلك في مساهمةّ "أوستين" و "سورل" وهما من فلاسفة اللغة فقد كانا مؤسّسين لنظريّة الأعمال اللغويّة التي تعددُّ من أهمّ مواضيع علم الدلالة التداوليّ. ومن بين المشاغل الفلسفيّة المشتركة بين علم الدلالة والفلسفة مسألة الذاتيّة التي تحضر في الخطاب عبر علاقة المتكلّم بدلالة ما ينطقه من أقوال. وصلة دلالة القول بـ "الآخر" باعتباره يؤثّر في دلالة الخطاب فهماً وتأويلاً ومَقْصَداً[2].

---

[1]– موسوعة اللسانيات، ص: 455، 456. The Linguistics Encyclopedia, Kirsten Malmkjaer, Routledge, 2sd Edit, London New York, 2002.

[2]– منجي العمري، مدونة علم الدلالة، مدخل عام إلى علم الدلالة، 19 فبراير 2019، الموقع: http://semantique3.blogspot.com/2016/03/httpsdrive.html

المحاضرة الثانية: علم الدلالة والمعارف الإنسانية:

2- علاقة علم الدلالة بعلم النفس:

خضع علم الدلالة لتأثير العديد من العلوم الإنسانيّة. ولم يكن هذا التأثير على نفس القدر من الأثر. فمثلا كان تأثير علم الصوتيّات واضحاً من خلال استلهام التحليل السيميّ لمكوّنات المدلول من التحليل الصوتي للسمات التمييزيّة. كما أنّ تأثير علم النفس السلوكي كان واضحا في البنيويين التوزيعيين الذين اعتبروا المعنى خارج اهتماماتهم. في المقابل كان تأثير علم النفس العرفاني مُهمّا في علم الدلالة المعجمي من خلال اعتماد العرفانيّين على نظريّة الطراز[1] التي أخرجت الدلالة المعجميّة من تأثير المنطق الأرسطي القائم على ثنائيّة "الصدق/الكذب" إلى تصوّر جديد للمقولات في الذهن قائم على مفهوم الطراز أو النموذج الأكثر تمثيلا للأشياء[2].

يأتي علم النفس في المرتبة الثانية بعد الفلسفة من حيث اهتمامه بالدلالات والمعنى، وقد اهتم علم النفس بمعالجة الجانب الذاتي للغة، نتيجة اهتمامه بالإدراك، باعتبار هذا الأخير ظاهرة فردية، فقد طور علماء النفس وسائل عِدَّة للوصول إلى معرفة درجة التفاوت والاختلاف بين الناس في إدراك الكلمات، أو تحديد ملامحها الدلالية[3]، يقول أحمد مختار

---

[1]- «لفظ "الطّراز" نُعَرِّب به مطلح (Prototype). وهو من الناحية اللغوية مركَّب من (Protos) في اليونانية بمعنى **الأول** و (Tupos) **النَّمط**، فهو إذن **النمط الأول**.

=

= أما في اصطلاح علم النفس العرفاني واللسانيات العرفانية (Cognitive La Linguistique) فهو يعني- على العموم- أفضل مُمثِّل لمقولة ما. فهو نموذجا من حيث اشتماله على أبرز الخصائص التي تميز مجمل أفرادها، كأن يُعْتَبر النَّسْرُ نموذجا للطّير لكونه يختزل أبرز صفاته». عبد الله صولة، المقولة في نظرية الطراز الأصلية، ص: 369.

فعلى هذا المعنى يمكن أن يكون لفظ "طراز" تعريبا مقبولا لـ Prototype إذ إن "التمثيلية" و "الأفضلية" مفهومان من تعريف لسان العرب للفظ "طراز" جاء فيه: «الطرازُ: الجيّد من كلّ شيء»، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ط. ر. ز).

[2]- منجي العمري، مدونة علم الدلالة: http://semantique3.blogspot.com/2016/03/httpsdrive.html

[3]- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 16. وخليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص: 86.

عمر: «يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة اللغة، وتعلُّمها، ودراسة السُّبُل التي بها يتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة»[1].

ويستفيدون خلال ذلك من طرح علم الدلالة لمشكلات طبيعة وحداته ونظامها وأصولها، وآلية اكتسابها، وتشكيلها في الخطاب، من مثل: « لماذا نتواصل وكيف نتواصل؟ وما هي الإشارة، وماذا يجري في ذهن من نخاطبه حين نتواصل؟ وما هو الجوهر، وما هي الوظيفة الآلية والنفسية لهذه العلمية»[2]. واهتمامات علم الدلالة لا تقل شأنا عما يبحث فيه علم النفس، «واعتماد علم الدلالة على علم النفس في تحديد المساحة الإدراكية عند المخاطَب ومن ثم بناء خطاب وفق مستوى المتلقي وكفاءته، وهو ما تعبر عنه البلاغة بـ "لكل مقام مقال"، وتفيد معطيات علم النفس بأن الإدراك يختلف من شخص لآخر حسب الاستعدادات الفطرية وظروف التّعلُّم والتجربة في الحياة وغير ذلك، كما أنه يختلف عند الشخص الواحد من سياق إلى آخر ومن موقف إلى آخر»[3]، وكذلك فإنّ جانباً من المعنى قد يختفي وراء بعض الأوضاع النفسية فيكون علم الدلالة قاصِراً عن فهمه كأوضاع الخوف عند الاستجواب أو الارتباك أو شِدّة الفرح أو غير ذلك.

ونشأ من العلاقة بين علم الدلالة وعلم النفس فرع من فروع اللسانيات النفسية، وهو نقطة التقاء بينهما، كما يمثّل علم الدلالة العرفانيّ أبرز اختصاص في اللسانيات العرفانيّة سواء تعلق بالمعجم أو بالتركيب. واللسانيّات العرفانيّة[4] جزء من منظومة علوم متفاعلة وأهمّها علوم الأعصاب والبيولوجيا وعلم النفس العرفاني. ولذلك يقع علم الدلالة في مختلف نظريّاته العرفانيّة تحت تأثير هذه العلوم ومناهجها الطبيعيّة. ومن أبرز مظاهر هذا التأثير

---

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 16.

[2]– بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص: 17.

[3]– عبد الناصر مشري، مستند تعليمي في مقياس علم الدلالة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015–2016، ص: 35.

[4]– اللسانيات العرفانية (Cognitive La Linguistique) تبحث في تفسير المعنى وكيفية انتظامه بين اللغة والذهن، فهي تدرس الدماغ وما يحصل في الذهن في كيفية تقبل المعنى وفهمه وإنتاجه.

انتقال مفاهيم علم النفس العرفاني إلى نظريّات علم الدلالة ومنها الطراز والخطاطة والبنية التصوريّة.

3- علاقه علم الدلالة بعلم الاجتماع:

إذا كانت الظاهرة الاجتماعية هي الموضوع الأول لعلم الاجتماع فإنّ اللغة هي واحدة من الظواهر الاجتماعية التي تعكس حركية المؤسسات الاجتماعية في تفاعلها بعضها مع بعض؛ فاللغة – التي هي تَعْبير عن معنى– سلوك اجتماعي يحدّده المجتمع في المقام الأول. لذلك نجد علم الدلالة بما يحمله من معلومات يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم، «ويهتم علم الدلالة وعلم الاجتماع بتحليل نسبة التفاعل الاجتماعي كما يتجلى في الحوار اللغوي، ذلك أنّ المعاني (الدلالات) لا تكمن في الأدوات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات، ويوظفها بطرق مختلفة»[1]، فعملية التواصل أساسها التفاهم؛ فأيُّ عملية تتطلب وجود معنى لكي يتم التواصل، وأبْعد من ذلك نجد علم الدلالة يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم، «حيث يتجاوز اللغة بوصفها مظهرا فرديا مُنْعزِلاً، إلى كونها ظاهرة اجتماعية تحمل مظهر الاستعمال الفردي المطبوع بطابع الجماعة اللغوية، فتحدث عملية التفاعل اللغوي ولا يتحقّق إلاّ في المجتمع، باعتبار اللغة أداة تواصلية، والفرد حيث يتلقى اللغة فهو يتلقى معها ثقافة المجتمع وحضارته ودينه وعاداته وتقاليده»[2]. كما اهتم علماء الأنثروبولوجيا باللّغة وما تُفيده من دلالات مُنْبئة عن ثقافة، وطقوس، وشعائر الشعوب، وهذه العلاقة ناقشها "مالينوفسكي" في سياق الموقف[3]. وهذا يدل أن قضية الدلالة من أي منظور نظرنا إليها، إنما هي قضية لها

---

[1]– خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص: 88.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 16.

[3]– ينظر: صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ص: 18.

شمولها الذي تتعدى به الجزئيات، وإنه للإحاطة بها من كل جوانبها محتاجة إلى منظور فينومينولوجي يعلو بها بوصفها ظاهرة، ثم يردها إلى الوقع بوصفها حدثاً نفسياً، أو اجتماعيا، أو إشاريا، أو غير ذلك[1].

رابعاً: علاقة الدلالة بالترجمة:

تمتاز الترجمة بأهميتها في كيفية ترجمة النصوص وتحويلها من لغة إلى أخرى، ولكن لا تقتصر هذه الترجمة على كيفية التصرف في اللغة، وإنما في كيفية المحافظة على المعنى وسياقاته، لذا يجب على المترجم أن يكون ذا قادرة على الفهم في كيفية التعامل مع النصوص المراد ترجمتها، لأن الترجمة لا تنحصر في ترجمة اللغة فقط وإنما في طرح فكر جديد مختلف يهيء المجال لحالة من التفاعل الثقافي. يقول خليفة بوجادي: «تعاني الترجمة من لغة إلى أخرى مشكلات، أهمها إيجاد لفظ ما في لغة ما مطابق للّفظ الآخر في اللغة الأخرى. وهذا ما قد لا يتحقق مطلقا، لأنه يفترض تطابقا بين اللغتين في السلوك والعادات والأفكار والمجازات والأخيلة...»[2]. فغاية الترجمة نقل المعنى اللغوي من لغة إلى لغة أخرى إلاَّ أن هذه الغاية ليست بالأمر البسيط إذ إنَّ التصور النظري و المنطقي يقتضي أن يوجد لكلِّ دليل لساني في لغة مقابل في اللغة المترجم إليها وبالدقة المطلوبة الأمر الذي إذا تحقق في مستوى لغوي فقد لا يتحقق في مستوى آخر كما أنَّ الحامل اللغوي قد لا يكفي لأداء المعنى ممَّا يستوجب إعمال السياق بجميع أنواعه، وبخاصة السياق الاجتماعي وهو مساحة دلالية تستدعيها ضرورة الترجمة كما في التعبيرات المجازية التي تقتضي ترجمةُ دلالاتها إلماما بالجوانب الثقافية التي هي من السياق الاجتماعي[3].

وتلقي الترجمة مع علم الدلالة في كيفية التصرف في المعنى والمحافظة عليه، والتلطف في التعبير، والمحافظة الألفاظ الموحية، وكذا الاستخدامات المجازية؛ «لأن اللغات

---

[1]- منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، ص: 44.

[2]- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص: 87.

[3]- ينظر: عبد الناصر مشري، مستند تعليمي في مقياس علم الدلالة، ص: 36.

لا تتطابق مع استخداماتها المجازية للألفاظ والتعبيرات، وفي اختلاف سياقات استخدام اللفظ الواحد في اللغة الواحدة؛ حيث تعتمد الترجمة كثيرا على كل سياق يرد فيه اللفظ على حدة»[1]، مما يعني أنَّ الترجمة في بعض الأحيان تتجاوز الدلالة إلى الثقافة، ويكون في الترجمة خيانة حين يغيب عند المترجم الاطلاع على ثقافة اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها.

المحاضرة الثالثة: الدلالة ونظرية التلقي:

تعتبر جمالية التلقي من أهم النظريات والاتجاهات النقدية المعاصرة التي ظهرت في مرحلة ما بعد البنيوية، والتي اتجهت إلى القارئ فمنحته سلطة ومكانة حرم منها مع المناهج السابقة، «فاهتمت نظرية التلقي بالقارئ، والقراءة، وقد نشأت في ألمانيا، وتنسب لجامعة كونستانس، ومن أبرز ممثليها "هانس روبرت ياوس" و "فولفغانغ أيزر". وقد بلورت هذه المدرسة مجموعة من المفاهيم الأساسية، أفق الانتظار، والمسافة الجمالية، والقارئ الضمني، وفعل القراءة، والقطب الفني، والقطب الجمالي، ومرحلة استرجاع المعنى، ومرحلة الدلالة»[2].

وعليه تهتم نظرية التلقي بكيفية تلقي النصوص والخطابات، وتِبْيان الوسائل والطرائق التي تتم بها عملية استقبال الكتابات الإبداعية، كما تهتم بعمليات التفاعل بين الكاتب والقاريء، وكذا بالمعنى والدلالات المُمْكِنة.

أولا: القراءة وجمالية عند ياوس:

إنّ الاهتمام بالقارئ الفعلي، وبالتواصل الأدبي الحاصل بين القارئ وبين النص سنجده عند مُنَظِّر جمالية التلقي والاستقبال، وهو " هانز روبرت ياوس". «ويضع ياوس التلقي المثالي في نظره، وينقل العبء النقدي الأكبر المُلْقى على عاتق المتلقي، كي يضع

[1]– خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة: 87.

[2]– ينظر: جميل حمداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، دون دار نشر، ط1، 2015، ص: 23.

مُنْتِج النص والنص والمتلقي على مسافة واحدة في شروط إنجاح التّلقي، فيكون النص هو البوصلة التي توجه عملية التلقي»[1].

ولا يتحقق العمل الإبداعي المثمر والهادف إلا بالمشاركة الفعالة بين المبدع وبين النص والجمهور القاريء. ويدل هذا على أن العمل الإبداعي يتكون من عنصرين أساسيين: النص الذي قوامه المعنى، ويحيل على تجربة الكاتب الواقعية والخيالية؛ والقاريء الذي يتقبل آثار النص، سواء أكانت إيجابية أم سلبية[2].

ويلاحظ "ياوس" أنّ العمل الفني عامة والعمل الأدبي على وجه الخصوص لا يفرض نفسه ولا يستمر في الحياة إلاَّ من خلال جمهور ما. وعليه فإن التاريخ الأدبي هو تاريخ جماهير القراءة المتعاقبة أكثر من تاريخ العمل الأدبي بحد ذاته؛ بمعنى أن القراءة عبارة عن فعل محاكاة لقراءات سابقة ومتعاقبة، وبما أنّ الأدب هو نشاط تواصلي فإنه ينبغي علينا أنْ نُحلِّل النصوص الأدبية من خلال الآثار التي يتركها على مجموعة المعايير الاجتماعية، «فالقراءة فعل جمالي، وليست مجموعة من القراءات الفردية المنعزلة، وهي حصيلة أو مُلْتقى تأويلات ومعاني ودلالات تندرج في نسق قَيِّمي ومعياري وتصوري لجماعات اجتماعية معينة، وتجمعهم علاقات تلقي أدبي وثقافي مشروط بظروف تاريخية معطاة، تجيب عن انتظارات جمهور قارئ أو جماعات في مرحلة تاريخية مُعيّنة»[3].

وعلى هذا فإن "ياوس" يرى «أن الأدب ينبغي أن يُدْرس بوصفه عملية جدل بين الإنتاج والتلقي»[4]؛ لأن النص عنده، لا يتضمن معاني مطلقة ونهائية، بل يتضمن دلالات

---

[1]– محمد إسماعيل بصل، أكسم فياض، المفاجأة وكسر أفق التوقع (خطبة زياد بن أبيه في البصرة أنموذجا وتطبيقا)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 39، العدد2، 2017، ص: 226.

[2]– جميل حمداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، ص: 30.

[3]– عبد القادر شرشار، نظرية القراءة وتلقي النص الأدبي بين المفهوم العربي والمفهوم الغربي الحديث، مركز البحث في الأنثروربولوجيا والثقافة بوهران، كراسات المركز رقم7، 2004، ص: 119.

[4]– روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، ترجمة: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000، ص: 103.

مُمْكنة، ولكي تتحقّق لابد من قارئ يُقِيم حواراً مع النص، من هنا فإن التاريخ الأدبي «هو تاريخ جماهير القراءة المتعاقبة أكثر من تاريخ المعل الأدبي بحد ذاته»[1]، وهو بذلك يؤدي دورا واعياً يصل الحاضر بالماضي، وهذا الأمر يُعيننا على فهم المعاني السابقة بوصفها ممارسة للحالة الراهنة[2].

إنّ مجموع النصوص، أو النص المتكوّن منها، لا يشبه النصوص الأخرى، من ثم فإن النص، يتوزع على النصوص التي أنتجه، بل سيتوزّع على القراء الذين يستقبلون هذا النص ويعيدون تمثيله، فتكون القراءة بذلك عبارة عن مجموع من التناص للقراءات السابقة، وكأن القراءة هنا تحاكي تلك القراءات السابقة، أو هي عملية تجارب متبادلة بين النص والتلقي، أو بين التلقي والسابق واللاحق[3].

القارئ وأفق التوقع والانتظار:

يكون أُفُق التوقع عبارة عن مجموعة من المرجعيات التاريخية والثقافية وال التي يختزلها القارئ الفعلي حين يتناول نصاً من النصوص، وهو ليس بأي قاريء، إنما قارئ مارس عمليات القراءة، وهو الأمر الذي يُولِّد الخبرة والثقافة المكتسبة عند القاريء نتيجية تعامله مع النصوص معالجةً وتحليلاً؛ أي المعرفة الكاملة بالجنس الأدبي وقضاياه؛ هذا الأمر هو الذي يُولِّد القدرة على الفهم والمقارنة أو الحكم على الأعمال الأدبية من حيث إتيانها بالجديد ومن ثمة التغيير في أفق التوقع، أو يُمْنى الانتظار بالخيبة، وتؤدي إلى مَللٍ نتيجة الركود والتكرارية التي تقتل الروح الابداعية.

---

[1]– حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001، ص: 10.

[2]– ينظر المرجع السابق، ص: 103، 104.

[3]– ينظر: هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي والتواصل الأدبي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بن حدو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص: 110.

وعلى النقيض من ذلك قد يصطدم بنص يجبره على إعادة توجيه الأفق، نتيجة عدم توافق الأفق القاريء مع أفق النص، مثل ما حدث مع القصيدة العربية المعاصرة مقارنة بالقصيدة الكلاسيكية، «وعلى هذا الأساس ستكون جمالية العمل مرهونة بمدى كسر العمل لأُفق انتظارات وتوقعات القاريء، أي بمدى خرقه وخيانته لهذا الأفق، وهكذا لو كنا أمام صياغة جديدة لمفهوم الانزياح أو العدول في الشعرية والبنيوية»[1].

ويقصد بأفق الانتظار(التوقع) «الفضاء الذي تتم من خلاله عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل ودور القادريء في إنتاج المعنى، عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة لديه»[2]، إذ يمكن القول أن أفق الانتظار هو مجموعة الخبرات التي تتكون لدى القاريء عبر قراءاته المتعددة للنصوص المختلفة.

وقدر ركز "ياوس" على ثلاثة عوامل رئيسة لها تأثرها على هذه العملية وهي[3]:

– التجربة القبلية التي يملكها الجمهور عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص، مثلا رواية، شعر ، قصة.

– شكل الأعمال السابقة وموضوعاتها والتي يفترض العمل الجديد معرفتها، أي مدى ما يعكسه النص من آثار معروفة سابقا لدى القراء وما يتضمنه من جديد.

– مسألة التعارض بين الواقع والخيال أو بين ما هو شعري (أدبي) وما هو عملي. أي بين العالم التخيلي والواقعية اليومية.

وقد يُحدث العمل الجديد صدمة جمالية بالنسبة للمتلقي، بحيث يخالف هذا العمل الابداعي أفق انتظاره ويخيب ظن القاريء في مطابقة تجربته السابقة ومعرفته عن ذلك النوع

---

[1]– محمد عبد البشير مسالتي، محاضرات في مقياس نظريات القراءة والتلقي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2014، 2015 ، ص: 24.

[2]– عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري، القاهرة، 1999، ص: 109.

[3]– ينظر: بومعزة فاطيمة، نظريات القراءة والتلقي –المرجعيات والمفاهيم، مجلة النص، العدد 22، ديسمبر 2017، ص: 185.

من العمل الإبداعي مع معايير العمل الجديد، وهذا هو الأفق الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات عما هو مألوف[1].

المحاضرة الرابعة: فعل القراءة وبناء المعنى عند أيزر:

يعتبر "أيزر" ثاني أحد قطبي مدرسة "كونستانس" الألمانية، فإذا كان "ياوس" قد اهتم بالتاريخ النصي الذي اعتبره تاريخ القراءات، فإن "أيزر" قد ركّز على تأثير النص في المتلقي، وجعل القاريء يعيد انتاج النص، فيكون التفاعل بين النص والقاريء وهنا تكون الجمالية عندما يُسهم القاريء في إعادة بناء معنى النص. فكان اهتمام أيزر بالنص الفرد وبكيفية ارتباط القراءة به. كما أنه لم يستبعد العوامل الاجتماعية والتاريخية وإنما جعها لا حقة بالعمل النصي أو مُدمجة فيه[2].

انصبَّ اهتمام "أيزر" على القاريء الفرد، وعلى الكيفية التي يكون للنص معنى لدى القاريء؛ فالمعنى عند أيزر يكون «نتيجة للتفاعل بين النص والقاريء؛ أي بوصفه أثرا يمكن ممارسته وليس موضوعاً يمكن تحديده»[3]؛ فالقاريء في هذه الحالة لا يُسجِّل أحكام مُسْبقة وليس هدفه البحث عن الموضوعات داخل النصوص أو المقارنة بينها، إنما هدفه كيفية ممارسته للقراءة والمشاركة في إنتاج المعنى، وكيف يكون للنص معنى لدى القاريء.

فالعمل الأدبي ليس نصاً تماما، وليس ذاتية القاريء تماما، ولكنه يشملهما مجتمعين، فيكون التركيز داخل النص، فلا وجود لمعنى خارج طيات النص؛ فالمعنى ينحصر في ذلك

---

[1]– ينظر: بومعزة فاطيمة، نظريات القراءة والتلقي، ص: 185.

[2]– ينظر: روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص: 133، 134.

[3]– المرجع نفسه، ص: 135.

الأثر الذي يحدثه العمل العمل الأدبي في القاريء، أين تتلاقح ذاتية الموضوع وذاتية القاريء، وإنّ النشاط التأويلي للقاريء لم يعد ذلك التأويل الذي يعمل على التقليب في أوراق الماضي، أو الجانب التاريخي، بل هو نشاط فعال أكبر ما يميزه حركة المد والجزر نحو القاريء. فالمعنى إذن يُبنى وينشأ داخل النص ساعة القراءة، ولا يبحث عنه، فالقاريء يعيش المعنى من خلال الوقع الجمالي الناتج عن عملية التفاعل والتحاور بينه وبين النص.

القاريء الضمني:

ولكي يصف أيزر التفاعل بين النص والقاريء يقدم مفهوم (القاريء الضمني) بأنه بنية تخيلية تقع داخل النص، ويتميز القاريء الضمني بانعزاله عن كل مؤثرات خارجي، وُينْتج في النص ذاته، «إنه مُجسَّد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره– وهي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي، بل من طرف النص ذاته، وبالتالي فالقاريء الضمني كمفهوم له جذور متأصلة في بنية النص؛ إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قاريء حقيقي»[1]، فكان مفهوم القاريء الضمني هو قاريء تجريدي ليس ملموسا، بل هو قاريء مسجل ومكتوب داخل النص، فهو يجسد التوجيهات الداخلية التي تُشكل شروط تلقيه. فهو بنية نصية خالصة تَتَطلَّع إلى حضور متلق ما.

وبهذا يصبح القاريء الضمني كالطيف أمام النص يأخذ حضوره وشروطه منه لِيَتلبّس أي متلقي حقيقي أثناء القراءة. فهو عملية تكوين نصي للمعنى المحتمل، وتحقيق هذا المعنى بالقراءة والتفاعل بين النص ومتلقيه، «ويتضح من خلال المفاهيم والفرضيات التي اعتمدها أيزر في نظرية التلقي، يُشَدّد على أهمية التلقي في تحديد الموضوع الجمالي، موضحا أنّ النص وحده بعيدا عن المتلقي، وعن ردود فعله لا ينتج عنه شيء ويظل عملا جامدا، يبقى في حاجة إلى فعل يتحقق به ويخرج به إلى الوجود، ولا يَتأتّى ذلك إلا بعنصر

[1]– أيزر، فعل القراءة نظرية التجاوب في الأدب، ترجمة حميد لحمداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، المغرب، ص: 30.

القراءة»[1]. فتلقي النص عبارة عن فعل دينامي ينطلق من البنية اللسانية للعمل الأدبي ليغوص في بنيته العميقة. وكل ما كان النص أكثر مفاجأ كان وقعه على المتلقي أكثر وإثارته أقوى، عكس النصوص التي تقدم جاهزة كاشفة لكل خباياها يقرأها الساذج والخبير.

مواقع اللاتحديد أو سدّ الفجوات:

إن القاريء يشارك مشاركة فعالة في إنتاج المعنى النصي، فيكون دوره كشريك في إبداع العمل الإبداعي؛ وذلك باستكمال الأجزاء غير المكتوبة من العمل، وكنه موجود في العمل وجوداً ضمنيا، وهذا ما يسمى بِسدِّ فجوات النص أو ملأ الفراغات، وهذه الفجوات هي التي تحقق الجمالية للنص الأدبي، ويكمن دور القاريء في ملء هذه الفجوات، وقد ذهب أيزر إلى «أن درجة اللاتحديد هي مقياس الفعالية الجمالية للعمل الأدبي ومقياس افتاح بنيته التي تسمح بإنجاز تأويلات متعددة»[2]؛ فكلما تم تحديد هذه المواقع للامُحّددة، تجلّى تأثير البنيات النصية في وعي القاريء؛ حيث يصاحب عملية التصحيح المتتالية لإسقاطات القاريء الذاتية، مما يجعل عملية القراءة مفتوحة.

إن الفراغات هي بالتحديد ذلك المكان الذي يكون فيه القاريء مُطالَباً بإعادة تركيب النص، فكل الفجوات والنقائص التي يُضِيفها القايء بفعل فهمه وتفاعله وتأويلاته وإنتاجه للمعنى، أو البحث عن الدلالات المخبوءة والممكنة، كلها تدخل ضمن مجال ملأ الفراغ وسد أماكن اللاتحديد. وهذا ما يحقق المتعة والجمالية بحسب نظرية أيزر.

---

[1]– محمد عبد البشير مسالتي، محاضرات في مقياس نظريات القراءة والتلقي، ص: 12.

[2]– ينظر: بومعزة فاطيمة، نظريات القراءة والتلقي، ص: 186.

المحاضرة الخامسة: الدلالة والتداوليات:

اهتمت الدلالة الدلالة منذ نشأتها بخصائص نظام اللغة سواء في التركيب والمفردات أو في بنية الذهن كما هو الحال عند البنيويين والتوليديين. فكان التركيز على علاقة المعنى بالشكل اللغوي (تركيب/ مفردة). لكنَّ جانباً مُحدَّداً من تلك العلاقة يتعلّق بعلاقة اللغة بالاستعمال بقي دون الاهتمام النظري المطلوب قبل السبعينيات من القرن الماضي.

فدلالة الكلمات والتركيب اللغوية ليست فقط نظاماً بنيوياً يربط الشكل بالمعنى ويقبل الوصف والتحديد ضمن قواعد بنيوية وقواعد توليدية بل هي متفاعلة مع معطيات المقام من مُتكلِّم وسامع وظروف محيطة بهما، ولذلك نلاحظ أنَّ نفس القول يمكن أن تكون له دلالات مختلفة بين مقامين مختلفين. وهذا الاختصاص الذي يربط دلالات اللغة بالاستعمال ضمن مقام مُحدَّد هو ما باتَ يُعْرَف اليوم بالتداولية(الفرنسيةpragmatique /والانجليزية pragmatics). ولذلك يمكن أنْ نُميِّز إضافة إلى الدلالة المعجمية للألفاظ والدلالة التركيبية للجملة ضَرْباً ثالثاً نسميه الدلالة التداولية.

مفهوم التداولية:

والتداولية بوضفها علم التخاطيب والتحادث والتحاور (pragmatique) يترجمها اللسانويون بعدة ترجمات، نذكر منها علم الاستعمال، وعلم التخاطب، وعلم المقاصد، والذرائعية، وحتى النفعية. وتُعَدُّ التداولية أو التخاطب علماً مُتفرِّعاً من اللسانيات الحديثة بل هي قاعدة اللسانيات.

التداول لغةً: مصدر تداول، يقال: دال يدول دولاً: انتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة وتلك مرة[1]. فمصطلح التداولية لا تخرج عن معاني التحوّل والتبدّل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى،

[1]– ينظر: ابن منظر، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة: (د. و. ل).

مما يقْتضي وجود أكثر من طرف يشترك في فعل التحوّل والتغيّر والتبدّل «وتلك حال اللغة مُتحوّلة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم»[1].

التداولية اصطلاحاً: يسود الإبهام كثيراً من المصطلحات والمفاهيم المتاخمة للحقل التداولي، فالتداولية نفسها عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتفقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد. وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية، فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات– التي لم تتمكن المدارس اللسانية (ومنها البنيوية) من الإجابة عنها – قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه.

تَعْنِي لفظة "Pragma" في الإغريقية فعالية أو عَمَلاً أو مسألة [2]، وتعني التداولية عند رائدها الأول "تشارلز موريس" (Charles Moriss 1938): «دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها»[3] ، إذ قسم السيمياء (علم الإشارات) على ثلاثة أقسام، وهي:

1– النحو أو التركيب (syntax) ، ويُعْنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات، بعضها مع بعض.

2– الدلالة (semantic)، وتدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل عليها.

---

[1]– خليفة بوجادي، مقدمة في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية– مصر 1، 2002، ص: 148.

[2]– ينظر: مجيد الماشطة، شظايا لسانية، مطبعة السلام، البصرة– العراق، ط1، 2007م، ص: 59.

[3]– محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص: 137. ومجيد الماشطة، شظايا لسانية، ص: 29.

3- التداولية (pragmatics)[1]، وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها[2]. أي علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقين، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها.

فقد جعل "موريس" التداولية جزءاً من السيميائية، تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها، ويُلح على دراسة بنية اللغة الشكلية وعلاقتها بالموضوعات المتداولة، بالأشخاص المستعملين لها. فالتداولية أو (علم الاستعمال) تهتم بمُنْتِجي اللغة لا باللغة فقط، ويُعدّ تعريف "شارل موريس" السابق، الوعاء المؤسس الذي انصبت فيه التحديدات اللاحقة التي ترى أن اللغة بوصفها نشاطاً كلامياً، تتحكم فيها مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية فأي «تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة»[3].

ويتجاذب التداولية أكثر من تعريف، فقد حدّت على أنها: اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق[4]، وتشمل هذه المعطيات:

---

[1]- الجدير بالذكر هنا، أن مصطلحي التداولية (pragmatique)، والذرائعية أو النفعية البراجماتية (pragmatism)، شيئان وليسا شيئا واحداً؛ فالمصطلح الأول يعنى بعمليات التخاطب والتحاور وسياق التخاطب في اللغة. بينما المصطلح الثاني (pragmatism) ينتمي للمذهب الفلسفي وبخاصة الفلسفة التحليلية، والذي يقول «إن معيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة»، مجدي وهبة، معجم المصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، ص: 430.

[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص 21. ومحمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص: 13، 14.

[3]-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، 2003، ص: 8.

[4] ينظر: البراغماتية وعلم التراكيب بالإسناد إلى أمثلة عربية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، سلسلة اللسانيات، المطبعة العصرية، تونس، ع6، 1986، ص: 125.

– معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

– الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

– المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها[1].

ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب، ويشمل هذا التداول ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان، وينظر في الجانب الضمني والتلميحي والحجاجي للكلام، والسياق يفرض على الباحث احترام مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته الآخر[2].

ويُعرَّف علم التخاطب بأنّه: «دراسة كيف يكون للقَوْلات معانٍ في المقامات التخاطبية»[3]. ويرى طه عبد الرحمن أن مصطلح التداوليات؛ هو المصطلح المقابل لـ "براغماتيكا" لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين؛ "الاستعمال والتفاعل" معا[4]. وبذلك تغدو التداولية في مفهومها العام «دراسة الاتصال اللغوي في السياق، وهو ما يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناها، كما يقصدها المرسِل» [5].

وممّا سبق يمكن تعريف التداولية تعريفاً شاملاً بقولنا: إن التداولية تعني مجموعة من البحوث اللغوية التي تدرس جانب الاستعمال اللغوي؛ بحيث تكون دراسة منطقية، تهتم

---

[1] ينظر: محمد يونس علي، تحيل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية بناء المسالك والغايات، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016 ص: 23 وما بعدها.

[2]– ينظر: مجيد الماشطة، شظايا لسانية، ص: 59.

[3]– محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 13.

[4]– ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 28.

[5]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 22.

بالتلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات اللفظية والمقامية؛ وهذا ما جنح إليه أكثر اللغويين في العصر الحديث[1].

قضايا المعنى في الدلالة والتداولية:

لاشك أنّ العلمين يهتمان ويسعيان إلى دراسة المعنى، الذي يُعدُّ الحقل الخصب والرئيس لهما، لكن هذا لا يعني توافقا في منهج الدراسة. وتفترق التداولية (علم التخاطب) عن الدّلالة في أنّ الدلالة تدرس المعنى داخل الجمل والتراكيب، في حين أنّ والتداولية تدرس المعنى في سياقات التخاطب (الأقوال والملفوظات) أثناء الاستعمال في سياقاتها الفعلية [2].

فالتداولية تُعْنَى بمباحث الاستعمال؛ أي ما يدخل في إطار مباحث المحادثة أو التخاطب، في حين علم الدلالة يدرس المعنى بمعزل عن السياق، ويهتم بتحليل المعنى الحرفي للألفاظ اللغوية ووصفها، وبعبارة أوضح لا تلتفت الدلالة في هذا المفهوم الخاص إلى أبعاد غير لسانية، فهي ترتكز على المنطوق؛ أي أنَّه يراعي المعنى المعجمي مضافاً إليه الجوانب القواعدية التركيبية (معنى الجملة) [3].

وإنّ التمييز بين العِلْمَين هو تمييز بين اللغة والكلام، وبين الجملة والقول. فبينما تنتمي الجمل بوصفها كيانات لغوية مجردة إلى اللغة، وتنتمي الأقوال التي تُعدُّ تجليّات فعلية وتحقُّقات وتجسُّدات عملية للجمل إلى الكلام؛ بمعنى أنَّ معنى الجملة يُشكِّل موضوعاً لعلم الدلالة، ومعنى القول يُشكّل موضوعا للتداولية[4].

---

[1]– ينظر: فيليب بلانشية، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ض: 18.

[2]– محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 14

[3]– ينظر: فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص: 21.

[4]– ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 14.

كما اهتمت التداولية بنظرية أفعال الكلام في بدايتها، ثم اتجهت إلى تحليل المحادثة كما سماه "جرايس" (1975) " أصول المحادثة "، وهو ما عالجوه في إطار علم دلالة المقام، والمنطق الخطابي، كما تَسايَر هذا العلم مع المنهج البلاغي الذي اتخذه ميدانا للدرس نتيجة التعامل مع المعنى[1]. إذن تعتبر التداولية امتداداً ضروريا لعلم الدلالة الألسني، كما يرى "بريكلي– في عناصرها تتمة ضرورية له[2].

وحصيلة الفروق بين الدلالة والتداولية يمكن اختزالها في نص "ليتش" الآتي: « الفرق بينهما هو فرق بين استعمال الفعل (يعني) في الجملتين الآتيتين: ماذا يعني الشيء في ذاته؟ وماذا يعني المتكلم بهذا الشيء؟»[3]، وهذا الفرق يعود بنا إلى ماذهب إليه "سيرل" من أنّ التداولية تبحث في كيفية اكتشاف مقصد المتكلم[4].

فالتداولية تتجاوز الوصف التركيبي للجملة ودرجة نحويتها، "وهذا مدار علم التركيب" أو علاقة المعجم المكوّن للقضية بالخارج، "وهذا مدار علم الدلالة" وتتخذ موضوعاً للبحث: القول منزلاً في المقام المعين، وتؤكد أثر المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال وفهم المقاصد، فثمة قضية جوهرية بالنسبة إلى التداولية تكمن في تحديد العلاقات بين هذين المقامين: الداخلي والخارجي للعبارة، وفي رؤية كيف أن المقام الثاني يتدخل في بناء المقام الأول والتفاعل بين الاثنين في تأويل الملفوظ وتفسيره. وبناءً على هذا تم التفريق بين معنى المتكلم والمعنى النحوي.

---

[1]– ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 15.

[2]– ينظر: هيربيرت بركلي: مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة قاسم المقداد، وزارة الثقافة، دمشق 1990، ص 107.

[3]– عيد بلبعن، التداولية إشكالية المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي، مجلة سياقات، القاهرة، العدد1، 2007، ص: 40.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 40.

ولعلَّ المفارقة الكائنة بين العِلْمين تتضح من خلال الجدول الآتي:

علم الدلالة	علم التداولية
1- يدرس المعنى بمعزل عن السياق. يختص بمفاهيم الحقيقة، والقيمة الإخبارية	1- يدرس المعنى في سياق الاستعمال. يختص بالأثر، وبالضبط التأثير الموضوعي الذي يَدَّعي الكلام امتلاكه.
2- موضوعات علم الدلالة: أ- البنية الدلالية للمفردات اللغوية ب- العلاقات الدلالية بين المفردات، مثل: الترادف، التضاد، المشترك اللفظي...الخ ج- علاقة الألفاظ بالحقائق الخارجية التي تشير إليها.	2- موضوع التداولية: علاقة العلامات بمستخدميها. أفعال الكلام، أصول التعاون، الاستلزامات، وعناصر آخرى..
3- يدرس اللغة - يدرس معاني الجمل على اعتبار أنّ الجملة كيانات لغوية تنتمي إلى اللغة[1].	3- يدرس الكلام - يدرس معاني الأقوال على اعتبار أنّ القول من حيث هو تجلٍّ فعلي وتحقّق وتجسّد عملي للجمل ينتمي ويُصنّف ضمن الكلام[2].

[1]- ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ص: 55.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 55.

وإذا أمعنا النظر في هذا الترفيق بين علم الدلالة وعلم التداولية هو تفريق شبيه بين علم الوضع والاستعمال، فكل من الوضع والدلالة يدرسان المعنى بمعزل عن السياق، وكل من الاستعمال والتداولية يدرسان اللغة في سياقاتها الفعلية[1].

[1]– ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 5، 6.